

بنى ملال (مدينة العين الرقراقية) تتربع على أجمل سفح بجبال الأطلس المغربية

الدار البيضاء: نجيب خليفة



بنى ملال، مدينة متميزة في المملكة المغربية حباها الله بالشمولية والتنوع، فجمعت كل الفخر من أطرافه، من سياحة وفلاحة وصناعة وإنتاج الطاقة، إلى بيئة طبيعية خلابة تنعشها الجبال والسهول والوديان والغابات والعيون الرقراقية، وبعض أنواع الحيوانات والطيور الوحشية منها والأليفة، ومحميات للصيد والقنص تنعش السياحة القروية والرياضية.

حديقة عمومية



شلال عين أسردون ببني ملال



التاريخ ونشأة مدينة بني ملال

تتميز مدينة بني ملال، بمآثرها التاريخية : أسوار تعود إلى عهد الملك العلوي المولى إسماعيل (وعاصمة ملكه هي مدينة مكناس)، والمنارة التي يعود تاريخ بنائها إلى عهد الموحدين. كما أن لمدينة بني ملال خاصية فريدة من بين كل المدن المغربية، هي أن أكثر المباني فيها مشيدة فوق الكهوف. ويؤكد مجموعة من المؤرخين والباحثين في تاريخ المغرب القديم أن مدينة بني ملال من أقدم الأماكن التي

مدينة بني ملال من أكبر مدنها) تشهد تعاقب السلطة، من دولة العلويين حوالي سنة 1680م، مروراً بدول المرابطين والموحدين والمرينيين والسعديين. وخلال الفترة الممتدة بين القرن 17 والقرن 19، ظهرت (تاندلة التي تبعد بـ 32 كلم عن بني ملال) في أشهر كتابات (ليون الأفريقي) و(شارل دوفوكو)، للذان ذكرا مننها المبنية فوق أماكن عالية وقصباتها وآثارها البديعة. وخلال فترة الإستعمار الفرنسي للمغرب وفرت السلاسل الجبلية لجهة تاندلة أزيلال إطاراً ملائماً للمقاومة.

وتؤكد الروايات الشفوية لسكان المدينة القديمة أن الأجداد كانوا يستعملون هذه الكهوف للإختباء من العدو في الحرب التي كانت رحاها دائرة بين قبائل الجبل وساكنة الحاضرة، وهي نفس الحالة التي تكررت عبر تاريخ مدينة بني ملال التي كانت تسمى (داي) قديما، وصولا إلى تأسيس المدينة حديثا داخل ما كان يعرف بالمور. لقد كان السكان الجدد يعتبرون أن البناء خارج السور يكتسي خطورة ومغامرة غير محمودة العواقب خاصة في زمن ما يعرف بأيام (السبية) - نسبة إلى كلمة للتسيب

عمرها الإنسان في شمال إفريقيا، وقد برر هؤلاء المؤرخون فرضيتهم، بانتشار الكهوف تحت أبنية المدينة، ويتضح جليا من خلال أشكال ومواقع هذه الكهوف، بأنها من تهيئ الإنسان وليس نتيجة عوامل طبيعية. ويتضح هذا من أثر استعمال السكان الأولون لأدوات حديدية في عملية الحفر والتقب على جدران الكهوف وواجهاتها وقواعدها، إضافة إلى هندستها وأشكالها المختلفة، فهي في مجملها تقدم لنا أنماطا فريدة من أشكال التعمير البدائي القديم بأقيمتها، وعرفها.



منظر من أعلى الجبل لبني ملال



بالتأنيّة، وأصبحت بني ملال هبة العين. وتعني كلمة (عين أسردون)، باللهجة الأمازيغية المتداولة في المناطق القريبة من جبال الأطلس المتوسط (عين البغل)، وهو اعتراف من سكان هذه المناطق الجبلية بالدور الذي يؤديه البغال في حياتهم اليومية، فحتى أقوى السيارات لا يمكنها أن تخترق شعاب الجبال الشامخة، مثلما تفعل البغال ذات العيون الصافية تماما مثل صفاء ماء (عين أسردون). وتحكى الكثير من الأساطير والقصص المنسوجة حول العين التي تتبع من تخوم الجبل، فتسقي البلاد والعباد، وتنتشر الخضرة لمساحات شاسعة وفي كل محيط

والفوضى التي عرفها المغرب في حقبة سابقة-، لذلك بنوا منازلهم فوق هذه الأرض دون أن يعرفوا خريطة الكهوف التي في أسفل القصبة. نفس ما استخدمه الأجداد لحمايتهم من العدو، لتعمله الأبناء في مقاومة المستعمر الفرنسي الذي بذل جهدا مضاعفا لمعرفة ورسم خرائط الكهوف وكشف مخابئ بعض رجال المقاومة.

الطبيعة الخلابة هبة الله لمساحة المدينة

ارتبط إسم مدينة بني ملال بعين أسردون ارتباطا وثيقا. التصقت الأولى

المدينة. ومن أسرار (عين أسردون) أن يبايعها لا تتضب منذ أن وجدت رغم أن المنطقة عرفت سنوات عجافا متتالية، وهو ما يجعلها في نظر الكثيرين إحدى العجائب السياحية الجميلة في المغرب.

وتقع العين في أسفل الجبل، في حين توجد في القمة بناية تاريخية قديمة مشكلة على الطراز التقليدي الأصيل وتسمى (قصر ملال) وتعود البناية إلى أحد أغنياء المنطقة القدامى، والذي كان يستعملها (البناية) حصنا ضد الأعداء ومكاناً للتعبد. ويقف القصر بجدرانه الطينية، كمعلمة شامخة تتحدى الزمن، فواحة بعبق التاريخ و الحضارة المغربية. وتعد شلالات أوزود من

الروائع السياحية بالمنطقة، وهي أكبر شلالات المغرب، ويحيط بها منتجع طبيعي مجهز بالبنيات التحتية من فنادق ومخيمات سياحية، ودور للضيافة، ومحميات خاصة بالقنص والصيد. كما تتوفر المدينة على عدة بنيات تحتية رياضية وسياحية نذكر منها: ملعب الكولف، وميدان الفروسية، ومطارا مدينا للطائرات الرياضية، وملاعب مختلفة للرياضات الجماعية. كما تتوفر المدينة على أسطول للنقل (عبارة عن سيارات الأجرة الكبيرة وحافلات ذات الجودة العالية) يؤمن الإتصال بين المدينة و القرى المجاورة من جهة، وبين المدينة والمدن المغربية الأخرى من جهة ثانية.



الصناعة الفلاحية والطاقة الكهربائية

بضاحية تبعد ب 40 كلم عن مدينة بني ملال، وعلى مصب واد العبيد، يتربع أكبر سد على الإطلاق في المملكة المغربية، ليسيقي ما يناهز 112.000 هكتارا من الأراضي المجاورة والمحيطة بالمدينة، وبذلك أصبحت ضواحي المدينة تضم أكبر وأجمل وأنتج الضيعات الفلاحية بالمملكة، كما أنه بفضل هذه المعلمة المائية الفريدة، أضحت بني ملال تنتج أكبر قسط من السكر على الصعيد الوطني بفضل انتشار زراعة الشمندر الذي يستعمل لإنتاج السكر، وتوفرها على 4 معامل لتكرير السكر. زد على ذلك أن هذه المدينة الساحرة تعد على رأس اللائحة في إنتاج القطن والحوامض والزيتون والفواكه المختلفة، والفضل كل الفضل لسد بين الويدان الذي يؤمن السقي

الحديث للأراضي الفلاحية. كما أن مركز أفورار لتوليد الطاقة الكهربائية والذي يبعد عن مركز المدينة بـ 25 كلم، ينتج ثلثي ما يستهلكه المغرب من الطاقة الكهربائية بواسطة الضخ المائي القوي لسد بين الويدان.

خلاصة القول

ليس هناك غرابة إذن أن تكون مدينة بني ملال، مدينة متميزة في المملكة المغربية حباها الله بالشمولية والتنوع، فجمعت كل الفخر من أطرافه، من سياحة وفلاحة وصناعة وإنتاج الطاقة، وبيئة طبيعية خلابة تنعشها الجبال والسهول والوديان والغابات والعيون الرقراقة المحيطة بها، أضف إلى ذلك بعض أنواع الحيوانات والطيور، الوحشية منها والأليفة، ومحميات للصيد والقنص تنعش السياحة القروية والرياضية .